حقيقة شهادة

أن محمداً رسول الله ﷺ

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين. .

أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة مختصرة حول [حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ] رأينا نشرها للناس؛ لدعاء الحاجة، بل والضرورة لذلك، ولما نرى من جهل كثير من المسلمين، فضلا عن غيرهم بحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، ووقوعهم فيما يخالفها مما يناقضها، أو يضاد كمالها، أو ينقص به إيمان العبد بها.

فكان لزاما أن نبين ذلك؛ نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ امتثالا لأمر الله سبحانه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] وقوله ﷻ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات.

ولقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قَالَ الصَّحَابَةُ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]. رواه مسلم.

---

(١) [صحيح مسلم] للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ط / المكتبة الإسلامية – استنبول – تركيا (١ / ٧٤) رقم الحديث (٥٥).

فواجب على كل من عرف الحق بدلائله أن يبينه، وينشره بين الناس، سيما في هذه الأزمان التي اشتدت فيها غربة الإسلام، وبات المعروف فيها منكرا، والمنكر فيها معروفا، وقل من يرفع رأسه بالحق ويظهره، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وسلوانا قول الرسول ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١).

فأسأل الله العلي القدير: أن يمن علينا بالهداية إلى الصواب، والتوفيق للحق والسداد، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا، ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يصلح لنا النية والعمل، وأن ينفع بما قيدناه في هذه الرسالة كل من اطلع عليها، ويجعلنا وإخواننا المسلمين من المتعاونين على البر والتقوى، إنه - سبحانه - جواد كريم.

---

(١) [صحيح مسلم] (١/ ١٣٠) رقم الحديث (١٤٥).

تمهيد

وقبل البدء في ذلك أمهد بمقدمة أرى أنها نافعة.

فأقول مستعينا بالله:

لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح أمر ملائكته بالسجود له، وكان إبليس من الجن، وليس من الملائكة، وإنما دخل في خطابهم لتوسمه بأفعال الملائكة وتشبهه بهم، وتعبده وتنسكه، لكن حين أمروا بالسجود وسجد الملائكة، لم يسجد إبليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] ويقول - سبحانه - في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[الكهف: ٥٠] الآية. أبى أن يسجد لآدم كبرا وحسدا وبغيا، فكان عقابه أن طرد من رحمة الله، وحلت عليه لعنة الله، لكن الخبيث ازداد بغيه، وعظم حقده على آدم وذريته، وطلب من الله الإنظار إلى يوم القيامة، فأنظره الله، عند ذلك قال - كما قص الله خبره: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

والمعنى: أنه أقسم أن يضل عباد الله من بني آدم عن طريق الحق وسبيل النجاة؛ لئلا يعبدوا الله ولا يوحدوه، ويسلك شتى الطرق لصدهم عن

الخير وتحبيب الشر لهم.

ومثله قوله تعالى قاصا خبره: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠] وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

فلم يزل بآدم عليه السلام وذريته؛ وسوسة وإغواء وإضلالا، حتى تسبب في إهباط آدم من الجنة، وقتل ابن آدم لأخيه، ولم يكفه هذا، فلما مر ببني آدم الزمان، وطال عليهم العهد بالنبوة - حسَّن إليهم الشرك، وأغواهم، فكان له ما أراد، وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، ووقعوا في الشرك، «وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ زَمَنُ قَوْمِ نُوحٍ حِينَ عَبَدُوا الأَصْنَامَ: وَدًّا، وَسُوَاعًا، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا، وَكَانَتْ هَذِهِ أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ، هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا» كما في البخاري[١].

وروى ابن جرير، عن محمد بن قيس قال: «كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ

---

(١) [صحيح البخاري] للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط / المكتبة الإسلامية - إستنبول - تركيا (٦ / ٧٣).

الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرَ، فَعَبَدُوهُمْ»[1].

هكذا بدأ الشرك في بني آدم، بسبب إغواء إبليس لهم، لكن الله - سبحانه - بحكمته وعلمه ورحمته بعباده لم يتركهم هملا يغويهم إبليس وجنده، بل أرسل إليهم الرسل؛ لتبين لهم الدين الحق، وتحذرهم من الشرك والضلال؛ رحمة منه بعباده، وإقامة للحجة عليهم: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال: ٤٢] ويقول سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وفي [الصحيحين] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عز وجل؛ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»[2] وفي لفظ

---

(١) [تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن] لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر، توزيع / دار التربية والتراث - مكة المكرمة (٢٣ / ٦٣٩).

(٢) [صحيح البخاري] (٥ / ١٩٤) [وصحيح مسلم] (٤ / ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٤) واللفظ له.

لمسلم: «**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**»[١] وفي [الصحيحين] من حديث سعد بن عبادة رضي الله عنه: «**وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**»[٢].

فأرسل الله الرسل إقامة للحجة على عباده وإعذارا لهم، وهذه الرسالات من نعم الله على خلقه أجمعين؛ إذ حاجة العباد إليها فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، فهم في حاجة إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما الرسالة ففيها حياة القلوب والأديان، بل والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣].

أرسل الله الرسل، وجعلهم بشرا من أقوام المرسل إليهم، وبلسانهم؛ ليبينوا لهم الدين الحق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

(١) [صحيح مسلم] (٤/ ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦٠) (٣٥).

(٢) [صحيح البخاري] (٨/ ١٧٤)، و [صحيح مسلم] (٢/ ١١٣٦) رقم الحديث (١٤٩٩) واللفظ له.

(٣) انظر [مجموع الفتاوى] لشيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (١٩/ ٩٩).

وكل أمة بعث فيها رسول، قال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[يونس: ٤٧] وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

بعثوا جميعا بدين واحد وهو الإسلام، إخلاص الدين لله، وتجريد التوحيد له سبحانه، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي الحديث عنه ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[(١)] متفق عليه، وكذلك أيضاً كل رسول يأمر قومه بطاعته؛ إذ هذا مقتضى الرسالة، يقول ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء: ٦٤].

ولم تزل الرسل تتابع إلى أقوامهم لدعوتهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[المؤمنون: ٤٤]، الآية إلى أن جاء موسى وبعده عيسى - عليهما السلام، وظهرت في كتبهما البشارة بالنبي محمد ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

---

(١) [صحيح البخاري] (٤/ ١٤٢) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٣٧) رقم الحديث (٢٣٦٥) (١٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ويقول ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾[الصف: ٦] وبعد أن رفع عيسى عليه السلام، وطال ببني آدم العهد قبل بعثة النبي ﷺ حمل إبليس بخيله ورجله على بني آدم، فأضلهم ضلالا بعيدا، وأوقعهم في الكفر والشرك والضلال بصنوفه إلا قليلا منهم، وبلغ من حالهم أن مقتهم الله - سبحانه - عربهم وعجمهم إلا القليل.

ثم بعث النبي محمد ﷺ الذي يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١).

بعث والحال كما أخبر به ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في [صحيحه] عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، حيث قال ﷺ في خطبته: «**أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ**

---

(١) أخرجه الحاكم في (مستدركه) وصححه، ووافقه الذهبي، والبزار، والطبراني في (الصغير) بلفظ (بعثت رحمة مهداة)، والطبراني في (الأوسط) والشهاب في (مسنده)، وهو بمجموع الطرق حسن، وجاء في (صحيح مسلم) عنه ﷺ: إني لم أبعث لعانا، إنما بعثت رحمة....

الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ»[١].. الحديث .

فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ بعثه رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فختم به الرسل، وهدى به من الضلال، وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، فأشرقت الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء، وأوضح به المحجة البيضاء، ورفع الله به الآصار والأغلال، وجعل رسالته عامة للإنس والجان: ﴿ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أرسله الله على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، حين حرف الكلم، وبدلت الشرائع، واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم، وحكموا على الله وبين عباد الله بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدى الله به الخلائق، وأوضح به الطريق، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفرق به ما بين الأبرار والفجار، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته، رؤوف رحيم بالمؤمنين، حريص على هداية الخلق

---

(١) [صحيح مسلم] (٤/ ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥) (٦٣).

أجمعين، عزيز عليه عنادهم وتعنتهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ **[التوبة: ١٢٨].**

خلاصة دعوته: البشارة، والنذارة، والدعوة إلى الله ببصيرة وحكمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ **[الأحزاب: ٤٥].**

هو خاتم الأنبياء، وشريعته وكتابه المهيمن على سائر الشرائع والكتب الناسخ لها: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ **[الأحزاب: ٤٠] ويقول ﷻ:** ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ **[المائدة: ٤٨].**

شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة على من خالف أمره، ورفع له ذكره، فلا يذكر الله - سبحانه - إلا ذكر معه، كفى بذلك شرفا، وأعظم ذلك الشهادتان، أساس الإسلام، ومفتاح دار السلام، عاصمة الدماء والأموال والأعراض، شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

فمعنى لا إلـه إلا الله: لا معبود بحق إلا الله سبحانه.

وأركانها: النفي والإثبات: (لا إلـه) نافيا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له.

وشروطها: العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق،

والإخلاص، والمحبة، وزاد بعضهم شرطا ثامنا وهو: الكفر بما عبد من دون الله.

وتحقيق هذه الشهادة: ألا يعبد إلا الله، وحقها: فعل الواجبات، واجتناب المحرمات.

هذه جمل مختصرة في (شهادة أن لا إله إلا الله)، أما تفاصيلها فلا تحتملها هذه الكلمة اليسيرة.

ولما كان البحث في حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ، كان من المناسب أن نورد طرفا مما تمس الحاجة إلى العلم به من ذكر نسبه ومولده ومبعثه ووفاته ﷺ، ثم ذكر شيء من أسمائه وخصائصه وصفاته الخلقية والخلقية، صلوات الله وسلامه عليه.

فصل

في نسب النبي ﷺ

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] جاء في بعض القراءات: «من أنفَسهم» بفتح الفاء، أي: أنسبهم.

وفي [صحيح مسلم] من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّه اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[1] وفي [الصحيحين] من حديث أبي سفيان رضي الله عنه، وقصته مع هرقل، وسؤال هرقل له عن رسول الله ﷺ، فكان فيما سأله أن قال: «**كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ إِلَى أَنْ قَالَ هِرَقْلُ لأَبِي سُفْيَانَ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا**».[2] هذا لفظ البخاري.

فظهر بهذا أنه أكرم الناس نسبا، فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

---

(١) [صحيح مسلم] (٤/ ١٧٨٩) رقم الحديث (٢٢٧٦).

(٢) [صحيح البخاري] (١/ ٦، ٥)، و[صحيح مسلم] (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧) رقم الحديث (١٣٧٣).

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونسبه ﷺ إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، لا خلاف فيه بينهم، وما فوق عدنان مختلف فيه، وعدنان من ولد إسماعيل نبي الله عليه السلام، وإسماعيل هو ابن إبراهيم عليه السلام.

وأم النبـي ﷺ هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة إلى آخر النسب المذكور سابقا، فأبوه يلتقي مع أمه في جدهما: كلاب بن مرة.

وكان وهب - أبو أمه - في ذلك الوقت هو سيد بني زهرة نسبا وشرفا، فاجتمع للنبي ﷺ شرف النسب من جهة أبيه وأمه.

فصل

في مولده صلى ﷺ

ولد النبي ﷺ عام الفيل، بلا خلاف نعلمه بين أهل السير.

وولادتـه: كانت يوم الإثنين جزما؛ لقوله ﷺ لما سـئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ -أَوْ- أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»[١]. أخرجه مسلم من حديث قتادة رضي الله عنه.

أما شهر الولادة وتاريخها فقد اختلف فيه:

فقيل: في ثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وقيل: بل في الثامن منه.

وقيل: بل ولد في رمضان.

وقيل: ولد في سبع وعشرين من رجب، وهو أغربها.

(١) [صحيح مسلم] (١/ ٨١٩) رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٦).

فصل

في مبعثه ﷺ

وأوحي إليه ﷺ وهو ابن أربعين، وكان أول بدء الوحي أنه كان يتحنث في غار حراء، وفي مرة من المرات أتاه جبريل عليه السلام فغطه غطة ثم أرسله، فقال: اقرأ. الحديث، فكان هذا مبدأ أمره ﷺ.

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا،

وَاللَّه مَا يُخْزِيكَ اللّٰه أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصلُ الرَّحمَ، وَتَحْملُ الْكَلَّ، وَتَكْسبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْري الضَّيْفَ، وَتُعينُ عَلَى نَوائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِه خَدِيجَةُ، حَتَّى أَتَتْ بِه وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِليَّة، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكتَابَ الْعبْرَانيَّ، فَيَكْتُبُ منَ الإنْجيلِ بِالْعبْرَانيَّة مَا شَاءَ اللّٰه أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَميَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ من ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّٰه ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذي نَزَّلَ اللّٰه عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمثْلِ مَا جِئْتَ بِه إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْني يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ»[1]. أخرجه البخاري.

(١) [صحيح البخاري] (١/ ٢-٤).

فصل

في وفاته ﷺ

يقول الله ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] **ويقول سبحانه:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] **ويقول ﷻ:** ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقد مات ﷺ بعد أن أدّى الأمانة وبلّغ رسالة ربه، وجاهد في الله حق الجهاد، ونزل القرآن شاهدا له ﷺ في آخر حياته، فقد نزلت آية المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] **وقد نعى الله - سبحانه - إلى نبيه ﷺ أجله حين أنزل الله عليه سورة النصر، ففي** [صحيح البخاري] **عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:** «**كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ. فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُؤِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:** ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ **فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟! فَقُلْتُ: لا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ:** ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾

[النصر: ١] وَذلِكَ عَلامَــةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣] فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَقُولُ»[١].

وقبيل وفاته ﷺ خير بين زهرة الدنيا و بين ما عند الله.

فعن أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَــا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَــا عِنْدَهُ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَــالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَــا، فَعَجِبْنَا لَــهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّــيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلا خُلَّةُ الإِسْلامِ، لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»[٢] متفق عليه.

وجاء في [صحيح البخاري] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ»[٣] فذكره بنحوه.

---

(١) [صحيح البخاري] (٦/ ٩٤).

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ٢٥٣، ٢٥٤) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٥٤) رقم الحديث (٢٣٨٢).

(٣) [صحيح البخاري] (١/ ١٢٠).

ولمسلم من حديث جندب: **أَنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ بِخَمْسٍ**[١].

ثم إن وفاة النبي ﷺ كانت كما يموت سائر البشر، لها سكرات، ثم فارقت روحه جسده، ثم ارتخى جسده ﷺ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «**إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ**»[٢]. أخرجه البخاري.

«**وَكَانَ يَوْمُ وَفَاتِهِ ﷺ هُوَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ**»، كما صح ذلك من حديثي: أنس[٣] وعائشة[٤] رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري في [صحيحه].

---

(١) [صحيح مسلم] (١/ ٣٧٧) رقم الحديث (٥٣٢).

(٢) [صحيح البخاري] (٥/ ١٤١، ١٤٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٦٥، ١٦٦).

(٤) نفس المرجع (٢/ ١٠٦).

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة باتفاق، وفي شهر ربيع الأول، قال ابن هشام في [السيرة النبوية] له: قالوا كلهم: وفي ربيع الأول. غير أنهم قالوا، أو قال أكثرهم: في الثاني عشر من ربيع، ولا يصح أن يكون توفي ﷺ إلا في الثاني عشر من الشهر، أو الثالث عشر، أو الرابع عشر، أو الخامس عشر؛ لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة، فدخل ذو الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد، فإن كان السبت فقد كان ربيع الأحد أو الإثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الإثنين بوجه[(١)] إلخ.» **وَكَانَ عُمُرُهُ ﷺ يَوْمَ وَفَاتِهِ ثَلاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً»**، كما صح ذلك عن جمع من الصحابة ﷺ كعائشة[(٢)] - رضي الله عنها، وابن عباس[(٣)] - رضي الله عنهما - وغيرهما.

وقد جرى له ﷺ فيما بين مبعثه إلى أن توفاه الله ﷻ أحداث عظيمة جسيمة، ومواقف نبوية كريمة، دعا فيها إلى سبيل ربه، وصبر وصابر، وجاهد وهاجر، واحتمل الأذى إلى أن كتب الله له ولصحبه ولدينه الظهور والاستعلاء والنصر، فما مات ﷺ إلا وقد بلغ رسالات

(١) [السيرة النبوية] لابن هشام مع [الروض الأنف] في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح / عبد الرحمن الوكيل (٧/ ٥٧٨، ٥٧٩).

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ١٦٣)، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٥) رقم الحديث (٢٣٤٩).

(٣) [صحيح البخاري] (٤/ ٢٥٣)، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٦) رقم الحديث (٢٣٥١).

ربـه، فهو ﷺ قد توفي ودينه باق إلى يوم القيامة، وهو محفوظ بحفظ الله لـه، ظاهر بوعـد الله بذلك، منصور عال عـلى كل الملل والطوائف، وأهله المحققون له هم الغالبون ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ **[الصافات: ١٧١ -١٧٣]** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ **[التوبة: ٣٣].**

والاعتنـاء بسـيرته ﷺ وما قام بـه من نصرة ديـن الله والقيام بحقه وما لحقه من أذى في سبيل ذلك، وسـيرته في جهاده لأعداء الله، وأنواع سـيرته وهديه - كل هذا من الأمور التي ينبغي لكل مسـلم العناية بها ومدارسـتها، إذ هـي الحق المحض، وهي سـيرة من جعـل الله له الكمال البشري، سـيرة سـيد الخلـق، وأعظمهـم، وأكرمهـم، وأفضلهم على الإطلاق. ولو ذهبنا نذكر شيئا يسيرا من بعض جوانب سيرة هذا النبي العظيـم ﷺ لاحتمل المقام أسـفارا عظيمة، ولما وفينـا المقام حقه، لكنا قصدنا بهذه الرسالة اللطيفة التنبيه على أهم المهمات في حقيقة شهادة أن محمداً رسـول الله ﷺ، مما لا بد لكل مسـلم ومسـلمة من معرفته وتحقيقه وتطبيقه؛ لينجوا من عذاب الله.

وقانـا الله وإياكـم وسـائر إخواننـا المسـلمين موجبات سـخط الله، وجعلنـا وإياكم من المتعرضـين لنفحات رحمته عزّ وجلّ، إنه - سـبحانه - كريم جواد.

فصل

في أسمائه ﷺ

كثرة الأسماء دالة على عظم المسمى، وأسماء النبي ﷺ دالة على معان عظيمة، وأعظم أسمائه وهو العلم عليه ﷺ إذا أطلق اسمه (محمد)، وهو الذي سماه الله به في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٢]، ويقول - سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وهو أَجَلُّ أسمائه ﷺ، يقول حسان ابن ثابت رضي الله عنه:

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وأصل البيت لأبي طالب، ضمنه حسان رضي الله عنه قصيدته.

ومن أسمائه ﷺ: أحمد، وهو الاسم الذي ذكره عيسى عليه السلام في بشارته ببعثة النبي ﷺ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه، فقال عز وجل: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ومن أسمائه ﷺ: المتوكل، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في ذكر صفة النبي ﷺ في التوراة، حيث جاء فيه «**وَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ**»(١) الحديث. أخرجه البخاري، وسيأتي .

ومن أسمائه ﷺ ما جاء في حديث جبير بن مطعم - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**»(٢) متفق عليه.

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «**سَمَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ أَسْمَاءً، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا، وَمِنْهَا مَا لَمْ نَحْفَظْ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»(٣) أخرجه مسلم.

ومعنى اسمه ﷺ (محمد): هو اسم منقول من الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته، وإجلاله، وتعظيمه، وبني على زنة (مفعل) مثل معظم ومحبب ومسود

---

(١) صحيح البخاري البيوع (٣/ ٢١) رقم الحديث (٢١٢٥).

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ١٦٢) و (٦/ ٦٢)، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٨) رقم الحديث (٢٣٥٤).

(٣) [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٨، ١٨٢٩) رقم الحديث (٢٣٥٥).

ومبجل ونظائرها، لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم الفاعل، فمعناه: من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة، وإن اشتق منه اسم المفعول فمعناه: من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى؛ إما استحقاقا أو وقوعا، فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى[1] وأما الماحي والحاشر والعاقب فقد جاءت مفسرة في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه المتقدم.

---

(١) انظر [جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام] لابن القيم، تحقيق - مشهور بن حسن سلمان، ص [٢٧٧].

فصل

في خصائصه ﷺ

النبي ﷺ هو سيد الخلق؛ ففي حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ»[١] أخرجه ابن حبان في [صحيحه] بهذا اللفظ، والترمذي[٢] بزيادة: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قبل قوله: «وَلا فَخْرَ»، وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[٣].

قال العز: والسيد: من اتصف بالصفات العلية، والأخلاق السنية. وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة، وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات.

وإنما قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ»[٤] لتعرف أمته منزلته

---

(١) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] لابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه - شعيب الأرنؤوط (١٤ / ١٣٥، ٣٩٢) رقم الحديث (٦٢٤٢، ٦٤٧٥) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٢) [سنن الترمذي] (٥ / ٣٠٨) رقم الحديث (٣١٤٨).

(٣) [صحيح مسلم] (٤ / ١٧٨٢) رقم الحديث (٢٢٧٨).

(٤) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] لابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه - شعيب الأرنؤوط (١٤ / ١٣٥، ٣٩٢) رقم الحديث (٦٢٤٢، ٦٤٧٥) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

من ربه ﷻ، ولما كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخارا في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخارا فقال: «وَلا فَخْرَ»(١) أ هـ.

ومن خصائصه ﷺ: أن بيده لواء الحمد، وتحته آدم فمن دونه؛ لقوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ، بِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»(٢).

ومنها: أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفَّع، وله الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلانُ اشْفَعْ، يَا فُلانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ». أخرجه البخاري(٣).

---

(١) [بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ وشرَّف وكرم] تأليف - العلامة العز بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق - محمد ناصر الدين الألباني - ط / المكتب الإسلامي بيروت - دمشق ص (٣٤).

(٢) [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان] (١٤ / ٣٩٨) رقم الحديث (٦٤٧٨)، و [مسند أبي يعلى] لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، دار البشير (١٣ / ٤٨٠) رقم الحديث (٧٤٩٣).

(٣) [صحيح البخاري] (٥ / ٢٢٨).

ومنها أنّا أمرنا بسؤال الوسيلة له ﷺ بعد كل أذان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١) أخرجه مسلم.

ومن خصائصه ﷺ: أنه لا ينادى باسمه المجرد ﷺ تكريما له، فإن الله تعالى وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه، وأسنى أوصافه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] وهذه خصيصة لم تثبت لغيره من الأنبياء، فإنه قد ثبت نداؤهم بأسمائهم ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: ٧] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ﴾ [ص: ٢٦] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [مريم: ١٢].

ونهى الله عباده أن ينادوه باسمه المجرد فقال سبحانه: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: ٦٣] ومن خصائصه ﷺ: أن معجزات كل نبي تصرمت وانقرضت، ومعجزة سيد الأولين

(١) [صحيح مسلم] (١/ ٢٨٨، ٢٨٩) رقم الحديث (٣٨٤).

والآخريـن وهي القـرآن الكريم باقية إلى يوم الديـن، يقول النبي ﷺ: «مَـا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إلا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ومنهـا أن الكتاب الذي أنزل عليه ﷺ قد تكفل الله ببقائه وحفظه من التحريـف، يقـول الله سـبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ويقـول النبي ﷺ فيـما يرويه عن ربه ﷻ: «وَأَنْزَلْـتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ»[2] أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

ومنها ما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًـا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَـدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَـى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْـوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَـلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْـجِدًا، فَأَيُّمَـا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلَّى حَيْـثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[3]. أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) [صحيح البخاري] (٦/ ٩٧)، و[صحيح مسلم] (١/ ١٣٤) رقم الحديث (١٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) [صحيح مسلم] (٤/ ٢١٩٧) رقم الحديث (٢٨٦٥).

(٣) [صحيح البخاري] (١/ ٨٦)، و[صحيح مسلم] (١/ ٣٧٠، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١) واللفظ له.

فصل

في أخلاقه ﷺ

يقول الله سبحانه وتعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

يقول العز بن عبد السلام: (واستعظام العظماء للشيء يدل على إيغاله في العظمة، فما الظن باستعظام أعظم العظماء؟!)(١) .

وعن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة - رضي الله عنها- فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّل، قَالَتْ: لا تَفعَل، أَمَا تَقْرَأُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ**»(٢).

وقد أكمل الله له خلقه منذ صغره وقبل البعثة، فما عبد صنما، ولا شرب خمرا، ولا مضى في أمر سوء، وكان يعرف عند قومه بالصادق الأمين.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: «**لَمَّا بُنِيَت الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يَنْقُلانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَفَعَلَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ،**

---

(١) [بداية السول] ص (٥٨).

(٢) [مسند الإمام أحمد] للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣ هـ (٦/ ٩١).

وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: «إِزَارِي، إِزَارِي، فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ»[1]، متفق عليه، وقد نوه الله بأنواع من كريم أخلاقه وسجاياه ﷺ، فقال - سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي [صحيح البخاري] من حديث عطاء بن يسار قال: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[2].

ومن أخلاقه ﷺ: ما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

---

(١) [صحيح البخاري] (٤ / ٢٣٣، ٢٣٤)، و [صحيح مسلم] (١ / ٢٦٧، ٢٦٨) رقم الحديث (٣٤٠) (٧٦)، واللفظ له.

(٢) [صحيح البخاري] (٣ / ٢١).

«مَا خُيِّرَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَـرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[1].

وفي [الصحيحين] «عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: فَخَدَمْتُهُ - أَي: النَّبِيَّ ﷺ فِي السَّـفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا» [2].

ومن أخلاقه ﷺ: تواضعه، ومداعبته للصغار: فعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ الرَسُولِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسَـبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فَرَآهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ «قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ»[3]. متفق عليه.

---

(١) [صحيح البخاري] (٤/ ١٦٦، ١٦٧) واللفظ له، و[صحيح مسلم] (٤/ ١٨١٣) رقم الحديث (٢٣٢٧).

(٢) [صحيح البخاري] (٣/ ١٩٥)، و[صحيح مسلم] (٤/ ١٨٠٤) رقم الحديث (٢٣٠٩) (٥٢).

(٣) [صحيح البخاري] (٧/ ١٠٢، ١١٩)، و[صحيح مسلم] (٣/ ١٦٩٢، ١٦٩٣) رقم الحديث (٢١٥٠)، واللفظ له.

فصل
في صفاته الخَلْقية ﷺ

ونبينا ﷺ قد كمله الله سبحانه، ورزقه جمال الظاهر وجمال الباطن، فكان أحسن الخلق صورة، وأكملهم خلقا ﷺ.

والبحث في صفة النبي ﷺ الخلقية يستفيد منها المؤمن أمورا:

منها: زيادة الإيمان، فإن المسلم كلما كانت معرفته بالنبي ﷺ وأحواله وأوصافه وتفاصيل ما جاء به أكثر كلما كان ذلك مدعاة ليكون إيمانه به أكمل، ومحبته له أعظم.

ومنها: أنه قد جاء في حديث أنس رضي الله عنه المتفق على صحته: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَام فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يتمثل بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[1].

ومن جاء بعده ممن لم يره في حياته ﷺ ليس له طريق إلى معرفته إلا بصفاته، وقد جاءت مبينة بآثار صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم.

منها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنه، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ:**

(١) [صحيح البخاري] (٨/ ٧١، ٧٢)، و[صحيح مسلم] (٤/ ١٧٧٥) رقم الحديث (٢٢٦٦).

(إِلَى مَنْكِبَيْهِ)»[١] أخرجه البخاري.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قَالَ: قُلْتُ مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ)**»[٢] أخرجه مسلم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**(لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالطَّوِيلِ وَلا بِالْقَصِيرِ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، ضَخْمَ الرَّأْسِ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ، طَوِيلَ الْمَسْرُبَةِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا، كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ)**»[٣] أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعنه رضي الله عنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَخْمَ الرَّأْسِ، عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، هَدِبَ الأَشْفَارِ - قَالَ حَسَنٌ وَهُوَ أَحَدُ رِجَالِ السَّنَدِ: (الشِّفَارِ) مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صُعُدٍ - قَالَ حَسَنٌ: تَكَفَّأَ - وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا**»[٤] أخرجه الإمام أحمد.

---

(١) [صحيح البخاري] (٤/ ١٦٥).

(٢) [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٢٠) رقم الحديث (٢٣٣٩).

(٣) [سنن الترمذي] (٥/ ٥٩٨) رقم الحديث (٣٦٣٧).

(٤) [مسند أحمد] (١/ ٨٩، ١٠١).

ومعنى شثن الكف: أي غليظه، قال الزمخشري في [الفائق]: وهو مدح في الرجال، لأنه أشد لعصبهم، وأصبر لهم على المراس[١].

والكراديس: هي: رؤوس العظام. وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين؛ كالركبتين والمرفقين والمنكبين، والمراد أنه ﷺ ضخم الأعضاء.

والمسربة: هي ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف، وفي [لسان العرب] قال سيبويه: ليست المسربة على المكان ولا المصدر، وإنما هي اسم للشعر[٢] والصب: ما انحدر من الأرض. والصعد، قال في [النهاية]: (كأنما ينحط في صعد) هكذا جاء في رواية، يعني: موضعا عاليا يصعد فيه وينحط... إلى أن قال: والصُعُد - بضمتين: جمع صعود، وهو خلاف الهبوط[٣]

---

(١) [الفائق في غريب الحديث] للزمخشري، ط / دار الفكر (٣ / ٣٧٧).

(٢) [لسان العرب] لابن منظور، ط / الدار المصرية للتأليف والترجمة (١ / ٤٤٨).

(٣) [النهاية في غريب الحديث والأثر] لابن الأثير، ط / دار إحياء التراث العربي (٣ / ٣٠).

فصل

في بيان حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بالأدلة

أما حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ فهي متضمنة لأمور، رأسها وأساسها الإيمان به، وذلك بالإيمان واليقين التام بأنه رسول الله حقا ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[الفتح: ٢٩] وأن رسالته عامة للبشر، عربهم وعجمهم، يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ويقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[١] متفق عليه، ويقول أيضا ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم[٢].

بل رسالته تعم الجن أيضا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ

---

(١) [صحيح البخاري] (١ / ٨٦) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (١ / ٣٧٠، ٣٧١) رقم الحديث (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) [صحيح مسلم] (١ / ١٣٤) رقم الحديث (١٥٣).

لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٢].

ومن الإيمان به: الإيمان بأنه ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب. ومن الإيمان به: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن كتابه القرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة المهيمن عليها، وشريعته هي الناسخة للشرائع قبلها، يقول ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠] الآية، ويقول ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[الأعراف: ١٥٧] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد أجمع المسلمون على ذلك، وهو عندهم من العقائد الثابتة بيقين.

والإيمان بالرسول ﷺ قد جاءت به الآيات صريحة قاطعة للمعذرة، يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾[النساء: ١٧٠] ويقول سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨] ويقول

- سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

بل إن الله أخذ ميثاق النبيين على الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته، فلا يسع أحدا منهم لو كان حيا وقت بعثته ﷺ إلا اتباعه، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَنۡ تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والاستجابة لدعوته ﷺ فقد جعل الله طاعة الرسول طاعة له سبحانه، وقرن طاعته بطاعة الرسول في أكثر من موضع في كتابه، يقول ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] **ويقول سبحانه:** ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] **ويقول ﷻ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وعلق الهداية على طاعته ﷺ فقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وجعل من حقق طاعة الله ورسوله في زمرة أشرف الخلق فقال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

بل علق على طاعة الله ورسوله الفوز العظيم، ألا وهو دخول الجنات، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

وأما تصديق خبره فهو حقيقة الشهادة، ولا تتم الشهادة إلا بتصديقه، وإلا كان كاذبا منافقا، وقد أثنى الله على المسلمين بتصديقهم النبي ﷺ فقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ قال: المسلمون.

وقد ذم الله من كفر بالرسول ﷺ وتوعده بأشد العذاب قال تعالى: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢] وقال في سورة المدثر فيمن كذب خبر الرسول ﷺ فيما جاء به من القرآن - يقول الله ﷻ: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٦].

بل إن سنة الله فيمن كذب رسله ماضية في نزول العذاب والهوان بهم، يقول الله - سبحانه: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص: ١٤] **ويقول - سبحانه:** ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

ودليل الاستجابة لدعوته ﷺ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فأمر بالاستجابة للرسول ﷺ، وقرنها بالاستجابة لله - سبحانه وتعالى، وسمىّ ما يدعو إليه ﷺ حياة، لما فيه من نجاتهم وبقائهم، وحياتهم بالإسلام بعد موتهم بالكفر، وحذر من عدم الاستجابة للرسول ﷺ فقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] **ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله: محبته ﷺ ونصرته وموالاته وتعظيمه، وبعد وفاته ﷺ تكون النصرة لسنته ﷺ.**

فدليل محبته ﷺ قوله ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ

حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[(١)]، وفي حديث أنس عنه ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(٢)] متفق عليه، وقوله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»[(٣)] الحديث.

وتوعد الله - سبحانه - من قدم محبة أحد - كائنا من كان - على محبة الله ورسوله، فقال - سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولما قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إلا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ». قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[(٤)] ودليل النصرة والتعظيم قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

---

(١) [صحيح البخاري] (١/ ٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) [صحيح مسلم] (١/ ٦٧) رقم الحديث (٤٤) (٧٠).

(٣) [صحيح البخاري] (١/ ٩، ١٠) و (٨/ ٥٦)، واللفظ له، و[صحيح مسلم] (١/ ٦٦) رقم الحديث (٤٣) (٦٧، ٦٨) من حديث أنس.

(٤) [مسند الإمام أحمد] (٤/ ٣٣٦) واللفظ له، و [صحيح البخاري] (٧/ ٢١٨).

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨، ٩] ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران: ٨١].

ووصف طائفة من المؤمنين، وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] ويقول سبحانه: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾[النور: ٦٣]

ودليل الولاية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، ويقول ﷻ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ومما يدخل في حقيقة هذه الشهادة العظيمة: التسليم له ﷺ، وتحكيم شرعه، والتحاكم إليه، والرضا به، والدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وقال – سبحانه – في صفة المؤمنين مثنيا عليهم ومشيدا بهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقال – سبحانه – واصفا المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ – ٥٠] وقال – سبحانه – أيضاً فاضحاً أمرهم، مشددا في ترك طريقهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

فتحكيم شرع الله وما جاء به الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، الأفراد على أنفسهم، وكذلك الحكام وولاة الأمر على رعاياهم ومن تحت أيديهم – واجب فرض متحتم، لا محيد عنه لمؤمن مسلم، بل هو من حقيقة شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

ومن حقيقة هذه الشهادة العظيمة – شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ

الاقتداء والتأسي به ﷺ، واتباع سنته، والرد إليه في حياته عند التنازع، وإلى سنته بعد وفاته ﷺ، وتقديم سنته على رأي كل أحد كائنا من كان، والحذر من مخالفته ومشاقته ومحادته ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ **[الأحزاب: ٢١]، ويقول ﷻ:** ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ **[الحشر: ٧]، ولما ادعى أقوام محبة الله - سبحانه - أنزل آية الامتحان في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى:** ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ **[آل عمران: ٣١]، ويقول أيضا - جل وعلا:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ **[النساء: ٥٩]، ويقول ﷻ:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[الحجرات: ١]، ويقول - سبحانه وتعالى:** ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ **[الأحزاب: ٣٦]، وقال - سبحانه وتعالى:** ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **[النور: ٦٣]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!**

وقال الشافعي - يرحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له

سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. أ هـ.

هذا قول أحمد فيمن اتبع رأي سفيان، وهو: الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، إذا كان رأيه يخالف الحديث فكيف بمن هو دونه؟!

ويقول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣] ويقول عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

هذه هي حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بشيء من التفصيل والبيان.

وقد أجملها بعض أهل العلم – وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – فقال في معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فصل

في حقوق النبي ﷺ على أمته

هذا وإن للمصطفى ﷺ على أمته حقوقا عظيمة:

منها: ألا يخاطب كما يخاطب سائر الناس، بل يخاطب باحترام وأدب، فيقال: رسول الله ﷺ، نبي الله ﷺ، ولا يقال: محمد، أو محمد بن عبد الله، ونحو ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور: ٦٣] الآية.

ومنها أيضا: سؤال الله الوسيلة له ﷺ؛ لقوله ﷺ: **«ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»**[١] رواه مسلم، ومنها أيضا: الصلاة والسلام عليه ﷺ، وهي في الصلاة واجبة، بل عدها بعض العلماء ركنا لا تصح الصلاة إلا بها.

وتتأكد عند ذكره ﷺ، ويوم الجمعة، وليلتها، وعند الدعاء، إلى غير ذلك[٢].

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) [صحيح مسلم] (١ / ٢٨٩) رقم الحديث (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) وقد بسط ذلك بسطا نافعا ومفيدا العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النافع القيم (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام) فليراجع هناك.

فصل

في ذكر طرف من طريقة محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبي الهدى والرحمة ﷺ واتباعهم له

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكثر الناس نصرة للنبي ﷺ وأشدهم به إيمانا، وكانت له مواقف كثيرة مشهودة، تدل على شدة المحبة وعظيم الإيمان:

فمنها: ما جاء في [الرياض النضرة في مناقب العشرة] لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري:

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ خِدْنًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَصَفِيًّا لَهُ، فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ انْطَلَقَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ هَذَا قَدْ جُنَّ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا: هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ إِلَه وَاحِدٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَالَ ذَاكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ. يَقُولُ: فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَطَرَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَاسْتَخْرَجَهُ، فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟ قَالَ: **«وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي يَا أَبَا بَكْرٍ؟!»** قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَدْعُو لِتَوْحِيدِ اللهِ، وَزَعْمُكَ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ رَبِّي عز وجل جَعَلَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَجَعَلَنِي دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا»**. قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ مَا جَرَّبْتُ عَلَيْكَ كَذِبًا، وَإِنَّكَ لَخَلِيقٌ

بِالرِّسَالَةِ؛ لِعِظَمِ أَمَانَتِكَ، وَصِلَتِكَ لِرَحِمِكَ، وَحُسْنِ فِعَالِكَ، مُدَّ يَدَكَ، فَأَنَا أُبَايِعُكَ، فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَبَايَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَصَدَّقَهُ وَأَقَرَّ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الحَقُّ، فَوَاللهِ مَا تَلَعْثَمَ أَبُو بَكْرٍ حَيْثُ دَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الإِسْلامِ» (١) اهـ.

وأخرج الحاكم في [مستدركه] من حديث عائشة - رضي الله عنها- قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوَقَالَ ذَلِكَ؟! قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ. قَالُوا: أَوَتُصَدِّقُهُ إِنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ. فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ»(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى

---

(١) [الرياض النضرة في مناقب العشرة] للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق / عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، ط / دار الغرب الإسلامي - بيروت، عام ١٩٩٦م الطبعة الأولى (١/ ٤١٥).

(٢) [المستدرك على الصحيحين] الإمام الحاكم، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، عام ١٣٣٤هـ (٣/ ٦٢).

النَّبِـيِّ ﷺ إلا يَـأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَـرَيَّ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إِلا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلا لأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ لأَبِي بَكْـرٍ: «**أَخْـرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**» قَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنَّمَا هِـيَ ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَـةَ وَأَسْـمَاءَ - قَالَ: «**أُشْـعِرْتُ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُـولَ اللهِ، قَالَ: «**الصُّحُبَةَ**». قَالَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنَّ عِنْـدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُـمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَـالَ: «**قد أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ**»(١).

وفي بعض الروايات: قالت عائشة - رضي الله عنها: «**فَوَاللَّه مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْـلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَـرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ**»(٢)، وهي في [مسند إسحاق بن راهويه] بزيادة: «**لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ بَعْدَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نِعْمَ الصُّحْبَةَ»**»(٣).

وأثنـاء الهجـرة وفي الطريـق جلـس النبـي ﷺ وأبو بكـر رضي الله عنه في غار ثور، وقريش قد أرسـلت الطلب ليحضروهم، وجعلت الجوائز لمن يأتي بالنبي ﷺ، وبينما هم في الغار، وإذ بالطلب حولهم، حتى إن أحدهم لو نظر أسـفل منه لرآهم، «فَقَالَ أَبُو بَكْـرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَاللهِ لَوْ رَأَى أَحَدُهُمْ

---

(١) [صحيح البخاري] (٣/ ٢٣، ٢٤).

(٢) [السيرة النبوية] لابن إسحاق، ط/ دار الجيل، المحقق د/ طه عبد الرؤوف سعد (٣/ ١١).

(٣) [مسند إسحاق بن راهويه] ط/ دار الإيمان - المدينة المنورة، عام ١٤١٢ هـ (٢/ ٥٨٤).

مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[١].

وفي ذلك أنزل الله قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، يقول الله سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: **«إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ، إِلا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»[٢].**

وأخرج البيهقي في كتابه [الاعتقاد] بسنده: أن أبا هريرة قال: وَالَّذِي

---

(١) صحيح البخاري، المناقب (٣٦٥٣)، صحيح مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨١).

(٢) [صحيح البخاري] (١/ ١١٩، ١٢٠) و (٤/ ١٩٠، ١٩١).

لا إِلَـهَ إلا هُوَ، لَوْلا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْـتُخْلِفَ مَا عُبِدَ الله، ثُمَّ قَالَ: الثَّانِيَة، ثُمَّ الثَّالِثَـة، ثُمَّ قِيلَ لَـهُ: مَهْ، يَا أَبَا هُرَيْـرَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ وَجَّهَ أُسَـامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خُشُب قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَة، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُـوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلاءِ، تُوَجِّهُ هَـؤُلاءِ إِلَى الرُّومِ، وَقَدِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَة؟ فَقَالَ: وَالَّذِي لا إِلَـهَ إلا هُوَ، لَوْ جَرَتِ الْكِلابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلا حَلَلْتُ لِوَاءً عَقَدَهُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَّهَ أُسَـامَةَ، فَجَعَلَ لا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الارْتِدَادَ إلا قَالُـوا: لَوْلا أَنَّ لِهَؤُلاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَـؤُلاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّـى يَلْقَوُا الـرُّومَ، فَلَقَوُا الـرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوهُمْ، وَرَجَعُوا سَـالِمِينَ، فَثَبَتُوا عَلَى الإِسْلامِ»[1].

ومـن ذلك حديث رفاعة بن رافـع رضي الله عنه قال: «قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَـالَ: «**اسْـأَلُوا اللَّه الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْـرًا مِنَ الْعَافِيَةِ**»[2]. أخرجه الترمذي، وقـال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) [الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة] للإمام أبي بكر البيهقي، تخريج وتعليق / فريح بن صالح البهلال، ط / رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ص (٤٢٢، ٤٢٣).

(٢) [سنن الترمذي] (٥ / ٥٥٧) رقم الحديث (٣٥٥٨)، وجاء عند أحمد رحمه الله من طريق أخرى رجال إسنادها ثقات.

ومن المواقف: ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرَ فَضِيخَكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ: الْفَضِيخ، فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلانًا وَفُلانًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ الْقِلالَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ**»[1].

وفي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لهَا، رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لهَا، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «**امْشِ وَلا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**»، قَالَ: فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ، وَلمَ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[2] أخرجه بهذا اللفظ مسلم، وأصله في البخاري.

وفي حديث خروج النبي ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه في حديث طويل، وفيه: أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه وكان

---

(١) [صحيح البخاري] (٥/ ١٨٩) واللفظ له، و [صحيح مسلم] (٣/ ١٥٧٠، ١٥٧١) رقم الحديث (١٩٨٠).

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ٢٠٧)، و [صحيح مسلم] (٤/ ١٨٧١، ١٨٧٢) رقم الحديث (٢٤٠٥) واللفظ له.

إذ ذاك مشركا - لما رجع إلى قريش قال لهم: «أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ كَمَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ» الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه[1].

هذه بعض الصور الجليلة الدالة على عظيم محبة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ، وحرصهم على اتباع أوامره والتسليم له.

ووراء هذه المواقف المذكورة - مما طوينا ذكره طلبا للاختصار - مواقف أخرى عظيمة، قد حفلت بها دواوين السنة، وازدانت بها كتب التواريخ والسيرة، وهؤلاء هم السلف الصالح الذين يجب علينا اتباعهم، واقتفاء آثارهم في معرفتهم لحق النبي ﷺ وعملهم بسنته.

---

(١) [صحيح البخاري] (٣/ ١٧٨ - ١٨٤).

فصل

في ذكر بعض أقسام المخالفين لشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ

أيها الإخوة في الله، قد بينا فيما سبق حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، التي من عمل بها والتزم بها ظاهرا وباطنا فهو الصادق في شهادته، ومن خالفها فإنه على خطر عظيم.

والمخالف لهذه الشهادة أقسام:

فقسم: لا يؤمن برسالة محمد ﷺ وينكرها جملة وتفصيلا، تكذيبا أو عنادا، كحال المشركين.

وقسم: يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ لكن ينكر عمومها، ويقول: إنها خاصة بالعرب، كحال طوائف من أهل الكتاب.

ويقال لهؤلاء وأولئك: يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨] ويقول - سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ويقول - سبحانه: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وليس مقصودنا في هذه الكلمة استقصاء الرد على هؤلاء وغيرهم من الطوائف، فإن علماء الإسلام وأئمتهم قد أجادوا في ذلك، وصنفوا فيها

المصنفات، فمن أراد الاستزادة فعليه مراجعة المطولات.

وقسم: يشهدون أن محمداً رسول الله، وينتسبون للإسلام، لكنهم خالفوا حقيقة هذه الشهادة بأنواع ومراتب من المخالفات، بعضها أعظم من بعض. فقسم منهم: بالغ في الغلو فيه ﷺ، وجعله نورا أزليا ينتقل في الأنبياء، حتى جاء ﷺ، ومنهم من يزعم أنه مظهر يتجلى الله فيه، والعياذ بالله.

فالأول: قول الغلاة الشيعة والباطنية، وأيضا غلاة الصوفية.

والثاني: هو قول أهل وحدة الوجود.

وكل هذه أقوال كفرية لا تصدر عن قلب مؤمن، وإنما يزخرف فيها القول، وتلبس لباس الإسلام؛ تمويها على العوام. وإلا فهي مضاهاة لقول من سبق من الأمم الكافرة، مثل اعتقاد النصارى في المسيح، وأنه إله في صورة إنسان.

والرسول ﷺ إنما هو بشر، وعبدٌ من عباد الله، اصطفاه الله وشرفه بأن كان خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وبشريته تنفي ما زعم فيه من المزاعم الباطلة التي ذكرت سابقا وما شابهها، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] وقال ﷺ:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»(١).

وغير ذلك من الأدلة والنصوص الدالة قطعا على بشرية محمد ﷺ، وأن الله - سبحانه - إنما ميزه بالرسالة والنبوة، أما الغلو فيه ورفعه فوق منزلته فهذا مخالف لحقيقة رسالته، ومخالف لـ (شهادة أن محمدا رسول الله). وقسم منهم: غلا فيه أيضا، بأن صرف له ﷺ أنواعا من العبادة، مثل: الدعاء، والخشوع، والصلاة إلى قبره، ونحو ذلك مما هو من خالص حق الله ﷻ.

وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك، وشدد فيه، وأبدأ فيه وأعاد، بل قبل ذلك القرآن الكريم، فإن الله - سبحانه - خص الدعاء والخضوع والصلاة ونحوها من العبادات به سبحانه.

يقول ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ويقول - سبحانه - واصفا أفضل عباده: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال - سبحانه - لرسوله ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال أيضا ﷻ آمرا نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تُطْرُونِي

(١) [صحيح البخاري] (١/ ١٠٤، ١٠٥)، و [صحيح مسلم] (١/ ٤٠٢) رقم الحديث (٥٧٢) (٩٢).

كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(١) أخرجاه.

وفي [الصحيحين] أيضا عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «**لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**(٢) **قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»**(٣).

ونهيه ﷺ، وتشديده في اتخاذ القبور مساجد بالصلاة لله عندها، وإخباره بلعن من فعل ذلك، مع أنه لم يعبدها ولم يدعها، وإنما ذلك ذريعة لعبادتها والشرك بها، فكيف بمن عبدها، وتوجه إليها، ونذر لها، وطاف بها، وذبح لها، ودعا أهلها، وطلب منهم النفع والضر.

قال القرطبي - رحمه الله: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة لقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة - إذ كان مستقبل المصلين - فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني

---

(١) [صحيح البخاري] (٤/ ١٤٢).

(٢) [صحيح البخاري] (١/ ١١٢) و (٤/ ١٤٤)، و (٥/ ١٤٠)، و [صحيح مسلم] (١/ ٣٧٧) رقم الحديث (٥٣١).

(٣) [صحيح مسلم] (١/ ٣٧٦) رقم الحديث (٥٢٩).

القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره. اهـ[(١)]

وبهذا يتبين أن الله - سبحانه - قد صان قبره ﷺ إجابة لدعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»[(٢)]، وأن من توجه إليه إنما هو في الحقيقة قاصد لما قام في قلبه أنه قبر النبي ﷺ، وإلا فقبره ﷺ لا يمكن استقباله ولا الوصول إليه.

بل هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله تعالى: إن الوصول إلى قبره ﷺ غير مقدور ولا مأمور[(٣)] ا. هـ. وذلك بعد إحاطته بثلاثة جدران. وقسم: غلوا فيه ﷺ، وزعموا أنه يعلم الغيب ويعلم أحوالهم وما هم عليه، بل وصل ببعضهم أن زعم أنه يشاهده ويجتمع به يقظة لا مناما.

وهذا تكذيب لكتاب الله وكفر بالله ﷻ، يقول - سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١٢٣]، ويقول ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

---

(١) [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم] للإمام القرطبي، ط / دار ابن كثير (٢ / ١٢٨).

(٢) [موطأ الإمام مالك] رواية يحيى بن يحيى الليثي، عن عطاء بن يسار مرسلا ص (٤١٤).

(٣) [كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية] تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر / رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ص (١٣٠).

ويقــول - سـبحانه وتعالى - آمرا نبيــه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعـام: ٥٠] ويقــول ﷻ آمــرا نبيــه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأما أدلة وفاته ﷺ فكثيرة:

منهــا: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمــر: ٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ومنها قوله تعــالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وفي حديث عائشــة في قصة وفاته ﷺ، وفي آخرها قال ﷺ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»[1] ثم فاضت روحه ﷺ.

وقسم من الناس: جفا في حق النبي المصطفى ﷺ، وسنته الصحيحة، فأخــذوا ينكرون طائفة من أحاديث النبي ﷺ، تارة بدعوى أن العقل لا يقبلها، فلما تعارض فهم عقولهم مع ما صح سـنده من سنة المصطفى ﷺ نبــذوا الســنة وراء ظهورهم؛ تقديــما منهم للعقل عــلى النقل، وما علمــوا أن العقــل الصريح لا يمكــن أن يعارض النقــل الصحيح، ومتى توهــم هذا التعارض فــإن المتهم في ذلك عقل من توهــم التعارض، وإلا فالنص الصحيح مقدم بكل حال.

(١) [صحيح البخاري] (٥/ ١٣٨، ١٣٩) و (٧/ ١٩٢).

وهذا القسم من الناس ضال مبطل، مخالف لمقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

وقد تقدم بيان الأدلة في ذلك، ونقل قول الشافعي - رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وتارة يرد السنة بدافع الهوى وغلبة الشهوات، وقد كثر هذا في الأزمان المتأخرة، حتى صار ينطق في الأمور الشرعية بتحليل أو تحريم من ليس أهلا لها، وهذا من أعظم الجرم.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

هذا وإن من الناس من خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بما هو دون الكفر، وإن كان خطيرا يجب الحذر منه.

فمن ذلك: الحلف بالنبي ﷺ وهذا شرك أصغر، وذريعة للشرك الأكبر. يقول ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»[2].

---

(١) [سنن أبي داود] (٣/ ٥٧٠) رقم الحديث (٣٢٥١)، و [سنن الترمذي] (٤/ ١١٠) رقم الحديث (١٥٣٥) واللفظ له.

(٢) [صحيح البخاري] (٤/ ٢٣٥)، و [صحيح مسلم] (٣/ ١٢٦٧) رقم الحديث (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقسم من الناس: خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بالابتداع في الدين، وكل بدعة أحدثت فهي مخالفة لحقيقة شهادة أن محمدا رسول الله؛ لأن من حقيقتها ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ، فإذا تقرب العبد لله بالبدع فقد خالف مدلول الشهادة.



فصل

في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

ومن البدع التي ظهرت وانتشرت واستشرت في المجتمعات الإسلامية، وخصوصا في أيام شهر ربيع الأول - بدعة المولد النبوي، ولما كانت البلوى قد عمت بها في هذه الأزمان، رأينا أن نعرض لها بشيء من التفصيل، فنقول وبالله التوفيق:

إن الأصل في هذا الدين الذي دلت عليه الدلائل القطعية من الكتاب والسنة: أن لا يعبد إلا الله، وألا يعبد الله إلا بما شرع - سبحانه - في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، ومن هنا قال أهل العلم: إن العبادات توقيفية، بمعنى: أن المسلم لا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه - سبحانه وتعالى، وبينته سنة رسوله ﷺ، أما من قصد التقرب إلى الله بأعمال ظنها حسنة في عقله أو أخذها عن غيره وإن كان معظما من العلماء أو من غيرهم - فهذا عمله مردود مبتدع وإن قصد الخير؛ لذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ)، قاله لأقوام يسبحون ويكبرون ويهللون ويحمدون، ويعدون ذلك بالحصى، ولما نهاهم قالوا: (مَا أَرَدْنَا إلا الْخَيْرَ)[1].

وهنا أصل أيضا متقرر معلوم عند علماء الإسلام، وهو أنه عند حدوث

---

(١) انظر [سنن الدارمي] تخريج وتحقيق وتعليق / السيد عبد الله هاشم يماني المدني توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء. في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي، (١ / ٦٠، ٦١) رقم الحديث (٢١٠).

التنازع يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما وجدناه فيه أخذنا به وعملنا به، وما لم نجده لم نتقرب إلى الله به.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول - سبحانه - أيضا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧]، ويقول ﷺ في حديث عائشة - رضي الله عنها - الذي عده أهل العلم ميزان العمل الظاهر - يقول ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1]، وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[2].

إذا تقرر هذا - وهو بحمد الله متقرر عند علماء الإسلام - نرجع إلى مسألة المولد النبوي، فنقول: لما كان بعض العلماء المتأخرين قد استحسنها، وقد شنع فيها غيرهم من العلماء والمحققين وذكروا بدعيتها، فكانت عندنا من مسائل التنازع، فهنا نرجع إلى الأصل في مسائل التنازع، ألا وهو الرد إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ، ونحن إذا رجعنا لكتاب الله لم نجد لهذه المسألة أصلا يعتمد عليه، وبتتبع سيرته وسنته ﷺ لم ينقل لنا أنه أمر بالاحتفال بمولده، أو أنه احتفل ﷺ بمولده، أو أن أحدا احتفل بمولده في عهده ﷺ فأقره، مع أنه ﷺ قد عاش ثلاثا وستين سنة، وقد صحبه وآمن به رجال هم أشد

---

(١) [صحيح البخاري] (٨ / ١٥٦) معلقا، و [صحيح مسلم] (٣ / ١٣٤٣، ١٣٤٤) رقم الحديث (١٧١٨) (١٨).

(٢) [صحيح البخاري] (٣/ ١٦٧)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣)، رقم الحديث (١٧١٨/ ١٧)واللفظ له.

الناس محبة له وتوقيرا وتعظيما وفهما لمراد الله والرسول، بل بذلوا أرواحهم دفاعا عنه ﷺ وذبا عن دينه ﷺ، وحرصوا على متابعته في كل صغيرة وكبيرة، ونقلوا لنا سنته ﷺ ولم يخلوا بشيء منها، حتى نقلوا لنا اضطراب لحيته في الصلاة إذا استفتح، فلا يمكن أن يكون الاحتفال بالمولد قد عمل في زمنه ﷺ، ولم ينقل مع تعاقب السنين وتوافر الهمم والدواعي لنقله.

ثم نظرنا أفضل القرون بعده ﷺ وأحب الناس إليه وهم أصحابه، فلم ينقل عنهم ناقل أنهم احتفلوا بمولده ﷺ لا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولا عمر الفاروق رضي الله عنه، ولا عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ولا علي بن أبي طالب صهر النبي ﷺ وابن عمه وأبو سبطيه رضي الله عنهم، ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، بل ولا التابعين ومن تبعهم بإحسان لا في المائة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة، مع قيام المقتضي - الذي يذكره أهل العصر الآن - وانتفاء المانع الحسي من ذلك.

فعلم أنهم إنما تركوه لقيام المانع الشرعي وهو أنه أمر لم يشرعه الله عز وجل ولا رسوله ﷺ، ولا هو مما يحبه الله ويرضاه ولا مما يقرب إليه زلفى، بل هو بدعة حادثة تتابع على تركها أفضل البشر ﷺ، وأفضل القرون رضي الله عنهم، وأفضل علماء الأمة علماء الصدر الأول من الإسلام، وفي هذا الدليل العظيم والأصل الأصيل مقنع لمن فتح الله على قلبه وأنار بصيرته ورزقه التوفيق والهدى والسداد.

وهـذا الـذي ذكرناه مـن أن السـلف لم يفعلوا هذا المولـد اتفق عليه علماء المسلمين ممن يرى إقامة المولد ومن لا يراه.

والاحتفال بالمولد إنما حدث في القرن الرابع على يد بني عبيد القداح الذيـن يسـمون بـ (بالفاطميـين)، وهؤلاء القوم قد بان لعلماء الإسـلام ضلالتهـم وأنهـم مـن الإسـماعيلية الباطنيـة، ولهم مقـالات وأفعال كفرية فضلا عن البدع والمنكرات، فليسوا أهلا للاقتداء والتأسي.

ثم إن الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة فقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وإحداث مثل هذه الموالد فيه استدراك عـلى الله، وأن الدين لم يكمل حتى جاء في القرون المتأخرة من زاد فيه، ولا شك أن هذا تكذيب لظاهر القرآن واستدراك على الملك العلام، نعوذ بالله من الخذلان، ثم إن رسول الله ﷺ قـال في الحديث الصحيح عنـه ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»[1].

ولا شـك أن نبينا محمـداً ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأفضلهم وسـيدهم وأنصحهم لأمته وأوضحهم بيانا وأفصحهم لسانا، فلو كان الاحتفال بالمولـد خيرا وقربة لبـادر ﷺ لبيانه لأمته ولدلهم عليـه وحثهم، فلما

(١) [صحيح مسلم] (٣ / ١٣٧٢، ١٣٧٣) رقم الحديث (١٨٤٤).

لم ينقل ذلك علمنا قطعا أنه لا خير فيه، فضلا عن كونه قربة لله سبحانه.

ثم أيضا يقال لمن أراد الاحتفال بالمولد النبوي: في أي يوم تحتفل؟ وذلك لأن أهل السير قد اختلفوا في مولده ﷺ.

فمنهم من قال: في رمضان، ومنهم من قال: في ثامن ربيع الأول، ومنهم من قال: إنه في ثاني عشر ربيع الأول، وقيل غير ذلك. فكيف يتم لكم الاحتفال؟ أم هل ترى ولادته قد تكررت؟

إن الاضطراب في تحديد تاريخ ولادته التي هي مبنى الاحتفال عند من يحتفل به دال أنه ليس من الشرع في شيء، إذ لو كان مشروعا لاعتنى المسلمون بضبطه وبيانه، شأنه شأن مسائل الشرع والقرب الأخرى.

ثم أيضا يقال: هب أن مولده ﷺ في ربيع الأول، فإن وفاته ﷺ كانت أيضا في شهر ربيع الأول، أي في نفس الشهر فليس الفرح بمولده بأولى من الحزن على وفاته ﷺ، وهذا ما لم يقل به أحد من قبل.

هذا وإن هذه المسألة واضحة بحمد الله لمن أمعن النظر ودققه وبحث ومحص، ولم يكن ديدنه التقليد دون دليل، وإن هذه المسألة مما لبس بها إبليس لإغواء بني آدم وإضلالهم.

وقد وجد في هذه الموالد من المفاسد ما يظهر معه جليا أنها تلبيس

إبليس، وذلك من أمور:

منهـا: اعتقاد التقرب إلى الله بهذا الاحتفال، وقد قدمنا أن الأصل في القربات التوقيف والدليل، ولا دليل هنا.

ومنهـا: مـا يحصـل فيها مـن منكـرات عظيمـة، منكـرات عقدية، ومنكرات أخلاقية.

فمن المنكرات العقدية - وهي أخطرها: ما يحدث فيها من المدائح التي قـد جاء في بعضها الغلو فيه ﷺ حتى أوصلـوه لمرتبة الألوهية وصرفوا الدعاء له، يقول البوصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به

سـواك عند حلول الحادث العمم

نعـوذ بالله من الخـذلان، فأين رب السـماوات والأرض؟ أين الرحيم الرحمن؟ إذا صرف للرسول ﷺ اللوذ وخصه بذلك في حال الشدة.

ويقول أيضا في مبالغة أخرى وغلو زائد:

فـإن مـن جـودك الدنيـا وضرتهـا

ومـن علـومك علـم اللوح والقلم

ولا شك أن هذا محض حق الله، وقد صرفه للرسول ﷺ، دفعه لذلك الغلو الزائد وإرجاف إبليس وجنده الذين ينشطون في مثل هذه المواطن. وهذا من الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره، نسأل الله السلامة والعافية.

ومما يحدث في الموالد: المنكرات الأخلاقية، وما يحدث فيها من اختلاط الرجال بالنساء، بل ورقصهن معهم والسهر الطويل على ذلك، حتى أضحت مرتعا للفساق والبطالين ومناخا مناسبا لهم.

ومنها: ما قام به البعض من الإنكار على من لم يعمل هذه الموالد، بل وصل ببعضهم الأمر حتى كفروهم وكفروا من ينكرها.

ولا شك أن هذا من استدراج الشيطان لهم وتزيينه لهم وإشراب قلوبهم هذه البدعة المنكرة، والعياذ بالله، فابتدعوا بدعة، وعملوا بها ثم كفروا من لم يتابعهم ومن أنكر عليهم نصحا لهم ليردوهم إلى دين الله القويم، وهذا من شؤم البدع والمعاصي؛ إذ لا تزال بصاحبها حتى ترديه، والعياذ بالله.

هذا وربما استدل بعض من يقيم هذه الاحتفالات بأدلة يظنها حقا وهي في الحقيقة سراب بقيعة، وهي دائرة بين نص صحيح غير صريح بل ومحرف عن موضعه، وبين نص ضعيف لا تقوم به حجة.

فمن ذلك ما استدل به بعضهم من قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس: ٥٨] قال: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن وذكر الآية، ثم قال: فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبي ﷺ أعظم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] هكذا قال واستدل.

فنقول وبالله التوفيق والسداد:

أولاً: إن هذا الاستدلال بالآية لم يسبقه إليه السلف، ولا قالوا به، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وإحداث أمر لم يعهده السلف مردود على صاحبه، ومدار تفاسير السلف لهذه الآية وأقوالهم فيها على أن فضل الله ورحمته يراد بها الإسلام والسنة، كما بين ذلك ابن القيم -يرحمه الله- في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية).

ثم يقال أيضا لهذا المستدل: إنك فسرت الرحمة هنا والفرح بها بالمولد النبوي والفرح به، وعضدت ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهذه الآية في إرساله لا في مولده وبين مولده وإرساله ما يقارب الأربعين عاما، وهكذا جميع النصوص التي فيها وصف النبي ﷺ بالرحمة، إنما يوصف بها بعد البعثة والإرسال والنبوة، ولم يثبت فيما نعلم وصف مولده بالرحمة، فلا يتم له الاستدلال بالآية.

وربما استدل بعضهم بما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ»[1]، فخرج السيوطي على هذا الحديث عمل المولد.

ويجاب عن هذا: بأن الحديث ضعيف أنكره أهل العلم بالحديث، قال

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩-٣).

مالك - رحمه الله - لما سئل عن هذا الحديث: (أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يعق عنهم في الجاهلية، أعقوا عن أنفسهم في الإسلام؟! هذه الأباطيل)[(١)]، والحديث فيه عبد الله بن محرر وهو ضعيف، قال عبد الرزاق - رحمه الله - بعد أن ذكر الحديث في [مصنفه]: (إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث)، ذكر ذلك ابن القيم في [تحفة المودود] [(٢)].

وفي [مسائل أبي داود]: أن أحمد - رحمه الله - لمّا حُدث بهذا الحديث قال: هذا منكر، وضعف عبد الله بن محرر.

بل قال البيهقي - رحمه الله - راوي الحديث: روى عبد الله بن محرر في عقيقة النبي ﷺ عن نفسه حديثا منكرا، وذكر الحديث بإسناده ثم قال: قال عبد الرزاق: إنما تركوا عبد الله بن محرر لحال هذا الحديث، وقد روي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء. ا. هـ[(٣)]، وكذلك حكم النووي - رحمه الله - على الحديث بالبطلان، وبهذا يتبين سقوط الاستدلال به لما عرفت من حاله.

---

(١) انظر: [المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات] لابن رشد ط / مطبعة السعادة بمصر - عام ١٣٢٥ هـ، الطبعة الأولى (٢ / ١٥).

(٢) [تحفة المودود بأحكام المولود] لابن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه / عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق ص (٨٨).

(٣) [السنن الكبرى] للبيهقي وفي ذيله [الجوهر النقي] للمارديني، طبعة / مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند (٩ ٣٠٠).

ولهم استدلالات أخرى كلها لا تقوم بها حجة، وإنما هي كما قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وما هي إلا اتباعا للمتشابه الذي أخبر سبحانه: أن اتباعه هو طريق أهل الزيغ.

وبهذا يتضح لك أيها الموفق: أن هذه الاحتفالات والأعياد بدعة، ما أنزل الله بها من سلطان، وأنها مضاهاة لما عليه النصارى الضالون من تكثير الأعياد والاحتفالات، وما ذاك إلا لقلة الدين وضعف العلم.

وقد أخبرنا ﷺ بذلك حيث قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»(١).

نسأل الله لنا ولسائر المسلمين التوفيق والسداد، والهداية لطريق الحق والرشاد.

---

(١) [مسند الإمام أحمد] (٢/ ٥١١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ، و[صحيح البخاري] (٨/ ١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري .

الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، والتحقق في ذلك، وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصي إخواني المسلمين جميعا بالتفقه في الدين، وطلب العلم؛ ليعبدوا الله على بصيرة، ولينالوا الخيرية، يقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُّ فِي الدِّينِ**»(١).

فعليكم إخواني بالتفقه في دينكم، وتعلم العلم الشرعي المتين، المبني على الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، وألا تقدموا على أمر إلا بعلم، ولا تحجموا عنه إلا بعلم، ومتى أشكل عليكم الأمر واشتبهت عليكم الطرق، فعليكم بسؤال أهل العلم المعروفين باتباع الحق والعمل به؛ امتثالا لأمر ربكم ﷻ، حيث يقول سبحانه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

كما أوصي إخواني من العلماء وطلاب العلم أن يتقوا الله فيما علموا، وأن يبينوا للناس ما خفي عليهم من أمر دينهم، وأن يجتهدوا في طلب الحق بدلائله من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، وينشروا ذلك بين الناس، فإن الله قد أخذ على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس ما علموا مما يحتاجون إليه، وحذر من اتباع سبيل من كتمه واشترى به ثمنا قليلا، فقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

(١) [صحيح البخاري] (٤/ ٤٩) و (٨/ ١٤٩)، [صحيح مسلم] (٢/ ٧١٩) رقم الحديث (١٠٣٧).

ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال - سبحانه - في شأن من لم يرفع بالعلم رأسا: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وأنتم يا علماء الإسلام ورثة الأنبياء، وخلفائهم في تبليغ رسالة الله «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1] ولا يصدنكم عن الحق وبيانه كثرة من ضل، فإن الكثرة لا تدل على أن الحق في جانبهم، بل إن الله قد ذم الكثرة في مواضع:

منها قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦] وقوله: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

كما أن القلة لا تعني أن الحق ليس معهم، فإن الله قد أثنى على القلة في مواضع:

---

(١) [مسند الإمام أحمد] (٥/ ١٩٦)، و [سنن أبي داود]، (٤/ ٥٧، ٥٨) رقم الحديث (٣٦٤٢) واللفظ له، و [سنن الترمذي] (٥/ ٤١) رقم الحديث (٢٦٨٢).

فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات.

فعلم بهذا أن العبرة إنما هي بالحق وإن كنت وحدك، كما قاله بعض السلف.

وكذلك أيضا يجب على العالم ألا ينساق لما اعتاده الناس وجروا عليه مما يخالف الشرع، بل عليه البلاغ والبيان وإن رفضه الناس، والله - سبحانه - يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ووصية أخيرة لحكام المسلمين وولاة أمورهم وأمرائهم: بأن ينصحوا لرعاياهم ومن تحت أيديهم، وأن يحملوهم على الحق، وأن يحكموا فيهم شرع الله، وأن يسعوا في رفع البدع والضلالات عن بلدانهم، فإن الله سائلهم عن ذلك كله، يقول ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

نسأل الله سبحانه: أن يفتح على قلوب الجميع، وأن يرزقنا جميعا الصلاح والهداية وحب هذا الدين، والعمل على نشره وتوعية الناس به.

---

(١) [صحيح البخاري] (١/ ٢١٥) و (٣/ ٨٨، ١٢٥، ١٨٩) واللفظ له، و (٦/ ١٥٢)، و[صحيح مسلم] (٣/ ١٤٥٩) رقم الحديث (١٨٢٩).

كما أسأله – سبحانه – أن يوفق ولاة أمور المسلمين للحكم بشريعته والعمل بما يرضيه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة ويسددهم في القول والعمل، وأن يغفر لنا جميعا، ويتجاوز عن تقصيرنا وخطايانا، ويلهمنا الصواب ويوفقنا للعمل به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.






الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء